الآراء الواردة في الصفحة تعبر عن وجهات نظر كتابها ، وقد لا تتفق بالضرورة مع وجهة نظر الجريدة

النخب العراقية وأزمة سؤال الهوية

يوسف محسن
كاتب

أفضى الانهيار الشامل للسلطة الفاشية العراقية عام ٢٠٠٣ الى سلسلة من التغيرات الجوهرية في بنية الدولة العراقية والعقد الاجتماعي للجماعات السياسية وظهور قوى اجتماعية وسياسية ودينية جديدة وتوزيعات في النسق الاجتماعي والاقتصادي والسياسي وحقلي السلطة / الثروة.
في حين شكلت انتخابات عام ٢٠٠٥ اول منعطف في تاريخ العراق السياسي ، أدت الى ظهور سيرورات من التمركز حول الهويات الطوائفية والقومية والاثنية ودخول هذا التمزق الى الحيز السياسي وعلى الرغم من ان هذا الانبعاث الهوياتي له مبرراته التاريخية والسوسيولوجية ، الا انه لم يؤد الى فتح النقاش بين النخب السياسية والثقافية والفكرية العراقية بشأن ماهية الهوية العراقية وجدل الهويات الفرعية وذلك بسبب العجز المعرفي لهذه الجماعات والضجيج والفوضى السياسية التي تلت سنوات الانهيار. اذ لم تقدم هذه النخب اجابات بشأن نظام العقد الاجتماعي ، وتتحايل على سؤال الهوية عبر سلسلة من العمليات (الاقصاء)(التبرير)(التجاهل ،) وتغييب واضح لكل خلاف فكري وثقافي ومرجعي والذي سيشكل مقدمة لازمة سؤال الهوية داخل الجسم السياسي للدولة العراقية.

عصر الهويات

توصف الهوية بأنها معطى تاريخي وليست معطى مقدسا او مطلقا وهي كأي منظومة تاريخية عرضة للمراجعة النقدية، يكتسبها الفرد عبر الممارسة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية داخل حقل مجتمعي وتقدم العلوم السياسية اضاءات مهمة نحو فعالية الهوية في العالم المعاصر واكتشاف حضورها في قلب مناطق النزاعات العالمية، تمتد من البلقان والقوقاز الى قلب افريقيا السوداء ومنطقة الشرق الاوسط والعراق بالذات.
اذ يوصف التنوع الهوياتي للمجتمعات الحديثة بانه جزء من الثراء الثقافي واللغوي والسكاني ولكن عندما يستجيب لمحفزات التشظي والانقسام والصراع والتمركز يصبح احد مولدات العنف الهوياتي كما هو حال التجربة العراقية اذ تطرح الحركات السياسية العراقية مفهوم الهوية كمعطى مقدس خارج الحقل التاريخي المجتمعي، غير قابل للجدل او المراجعة او التحول.
لذا فان الهوية الجماعية لأي مجتمع هي تراكمات وبنى واديان وطوائف وملل وقوميات تتشكل عبر تمرحل تاريخي تنصهر داخل اتونها العناصر والقيم اللغوية والاجتماعية والاثنية والاقتصادية والثقافية، عبر الاعتراف المتبادل والشراكة، في حين اية قراءة متعمقة لتاريخية المجتمع العراقي الحديث. نكتشف عن هشاشة الهوية العراقية وعدم طرح ماهية الاديان والطوائف والمذاهب والجماعات اللغوية التي تكون منها المجتمع العراقي على طاولة التداولات النقدية، وتم وضع هذه المسألة في حقل المحرمات ما ادى الى تحول هذه الجماعات الى طوائف واقوام وملل واثنيات مغلقة تبلور تمثيلات وصور نمطية تبادلية بعضها عن البعض وتركيبات اسطورية، احتقارية رسمت عبر التربية والتثقيف والسرديات الدينية الفقهية والمدونات الثقافية، اضافة الى الانقسامات السياسية والصراع بشأن السلطة السياسية، التي أدت ادواراً مهمة في التشهير او الحط من قيم وعادات الجماعات الاخرى، ولو تساءلنا عن حجم المعرفة التي تمتلكها الجماعات الشيعية ازاء الجماعات السنية العراقية او ازاء الجماعات الايزيدية او الصابئية او المسيحية السريانية، او الأثورية او بعضها لبعض لوجدنا انها معرفة هشة وتتسم بالعدوانية والعنصرية والتشويه الذاتي.

العصيان التاريخي لبناء دولة / أمة

هل يمكن جمع خليط من القوميات والاثنيات والطوائف لها تاريخها الخاص وانساقها الثقافية وذاكرتها السياسية الجماعية واساطيرها وشهداؤها الكارزميون في كيان سياسي واحد لخلق شعب متجانس في الخصوصيات والهويات؟
قد يبدو هذا التساؤل مرهوناً بالاشتراطات التاريخية ولكن وضعه داخل مجال التداولات النقدية ضرورة تاريخية راهنة للكشف عن خرافة الدولة العراقية والتي تشكلت عام ١٩٢١ والتي هي نتاج نمط الهيمنة الكولونيالية البريطانية واستجابة لحقل التصورات الثقافية والاجتماعية والسياسية المهيمنة في المجتمع العراقي انذاك، فقد تم (استيراد الملك فيصل الاول) وتعينه لحكم العراق في حين تكونت الجماعات التي اسهمت في تأسيس الدولة العراقية من شيوخ القبائل العربية والاغوات الاكراد وكبار التجار والضباط الاشراف السابقين في الجيش العثماني. هذا التحالف التقليدي، استطاع البقاء في السلطة السياسية حتى عام ١٩٥٨ مشكلاً (نخبة سياسية) في المرحلة الملكية الدستورية وقد تم استخدام الجيش لضمان وحدة الدولة المركزية عن طريق القوة والدمج القسري للجماعات الاثنية والقومية والطائفية وتذويب الخصائص القومية والثقافية لهذه المجموعات، خالقة تعارضاً بين الهوية المركزية للدولة العراقية وتعدد الهويات داخل المجتمع الحافل بالتنوع والتعدد، في حقبة الخمسينيات وخاصة بعد وصول النخبة التقليدية العراقية الى (أزمة مستديمة) ادت عوامل موضوعية الى تقارب الجماعات السياسية المعارضة وتبلور جبهة الاتحاد الوطني والتي أدت دوراً في وصول المؤسسة العسكرية الراديكالية الى السلطة عام ١٩٥٨ ولعدم امتلاك هذه المؤسسة نسقاً، ايديولوجياً واضحاً او مشروعاً اقتصادياً/ سياسياً تحولت هذه الجماعات من الضباط العسكريين الى بؤرة ازمات مستديمة وتعطيل الدستور وانهيار جبهة الاتحاد الوطني واندلاع الصراعات السياسية، حتى مجيء انقلاب ١٩٦٣- ١٩٦٨ ليبلور تاريخية الدولة الشمولية القومية، اذ استطاع حزب البعث العراقي الهيمنة على السلطة السياسية في تشكيلة اجتماعية- اقتصادية مفككة ونظام الدولة يقوم على احتكار السلطة للزعامات الفردية ونمو العنف السياسي.
امام هذا النسق التاريخي للمجتمع العراقي، بدأت الدولة القومية بقيادة البعث العراقي بتخطي الشكل التقليدي وصياغة تشكيلة جديدة تتطامن مع التأطيرات القانونية والوظائفية للدولة البعثية. حيث تم دمج مؤسسات الحزب والدولة في كيان واحد يرمز الى الهوية السياسية ومع انهيار الزعامة القومية الناصرية وارتفاع اسعار البترول عام ١٩٧٣ نتيجة أزمة الطاقة، تمكنت الدولة البعثية العراقية من صناعة نظام مركزي صارم يستند الى شبكة معقدة من نظام القرابات والروابط القبلية والجيش ومؤسسات الشرطة والامن الوطني والدمج القسري للهويات الفرعية.
استطاع هذا النموذج للدولة في صوره الاولية ان يحقق الهيمنة والسيطرة الشاملة على المجالات الاقتصادية والسياسية والثقافية وتنفيذ سلسلة من الاجراءات حسبت من قبل اليسار العراقي بوصفها المسار الحقيقي للاشتراكية (الاصلاح الزراعي. تأميم الثروات الريعية.)
وبسبب ازمة التكوين المجتمعي للمجتمع العراقي منذ عشرينيات القرن الماضي لم تستطع الجماعات العراقية ان تبلور تنظيماً مؤسساتياً سياسياً قادراً على تحجيم الدولة الشمولية القومية فضلا عن قوة الدولة الريعية وهشاشة الطبقة الوسطى العراقية وعدم وضوحها الفكري، اتسعت الهيمنة السياسية والعسكرية والاقتصادية للدولة الفاشية العراقية ونمو النزاعات العدوانية العسكرية واستخدام سياسة الاقصاء والاستبعاد للتنوعات الثقافية واحتكار السلطة.
بعد انهيار الكتلة السوفييتية دخلت الدولة الوطنية العراقية في الطور الاخير من ازماتها الدورية وخاصة بعد تبلور ايديولوجية التوسع الرأسمالي النيوليبرالي، اذ تم تفكيك الدولة العراقية عام ٢٠٠٣ وبداية عصر الهيمنة المركزية للسلطة السياسية.

الملك ذو البصيرة

يطرح الملك فيصل الاول مؤسس الدولة العراقية الحديثة (١٨٨٥- ١٩٣٣) في مذكرة سرية عام ١٩٣٢ (لايوجد في العراق شعب عراقي بعد، بل توجد تكتلات بشرية خيالية، خالية من أية فكرة وطنية متشبعة بتقاليد واباطيل دينية لايجمع بينهم جامعة) ويرى ان البلاد العراقية هي من جملة البلدان التي ينقصها اهم عنصر من عناصر الحياة الاجتماعية (الوحدة الفكرية والملية والدينية).
وعلى الرغم من محاولات النخب الملكية العراقية تجاوز هذه المشكلة عبر اشراك العناصر غير العربية في قيادة الدولة العراقية الا انها فشلت في خلق هوية عراقية مشتركة وذلك لسببين كما يحدد ذلك سليم مطر في (الذات الجريحة).
١- تداخل المشكلة القومية مع المشكلة الطائفية والدينية لان النخبة الملكية ورثت عن الدولة العثمانية مشكلة التكوين الطائفي للنخب الحاكمة، فلم يكن هدف النخب الملكية توحيد مختلف العناصر العراقية على اساس التنوع اللغوي او الاقليمي بل على اساس التكوين الطائفي ما ادى الى عزل العناصر الشيعية والتركمانية والكردية (الفيلية) وقد استمرت آليات العزل السياسي في عصر الجمهوريات العسكرتارية.
٢- بروز تيار قومي (الحركة القومية العربية) منذ الخمسينيات واستحواذه على السلطة السياسية منذ ستينيات القرن الماضي لذا مارس سياسة عنصرية ضد الاقوام غير العربية (الكرد، التركمان، الاشوريين، الايزيدية، المسيحيين السريان).

أزمة بنيوية

ان العراق لايمثل حالة منفردة من حيث التنوع القومي او الطائفي او الاثني وهو اقل تنوع من أمم أخرى اضافة الى ذلك ان التماثلات اللغوية او العرقية او الدينية او الطائفية لاتقدم عبر ذاتها ضمانات لوحدة دولة ما واستمرارها. الذي حصل في العراق هو عدم توفر الاشتراطات التاريخية لقيام دولة حديثة وهذه المسألة لاتكمن في التكوينات الاجتماعية او انها دولة نشأت عبر تأثيرات سياسية او كونها حديثة التكوين وانما المسألة وجود ازمة بنيوية سياسية نشأت مع وصول المؤسسة العسكرية الى السلطة السياسية وتفاقمت مع صعود انقلاب عام ١٩٦٨ ذي الابعاد التهميشية القومية الفاشية (تهميش العرب الشيعة والتركمان والاشوريين والايزيدية والعرب السنة من المنحدرات الحضرية، الموصل، بغداد، البصرة).
ان ظهور هذه الدولة القومية الشمولية في احد اطوار التاريخ السياسي للعراق نتيجة لازمة تشكيل نظام البنى التاريخية ومحيط جغرافي سياسي ضاغط اضافة الى ازمات اليسار العراقي التقليدي وعدم تكون الطبقة البرجوازية الوطنية وصعود الفئات الريفية بايديولوجيتها القومية الرثة والتي تتسم بالنزاعات الشوفينية. انتج بناء دولة توتاليتارية تلغي الاختلاف والتعدد والتنوع القومي والاثني والطائفي وتمارس العنف والاقصاء للجماعات المختلفة (الدينية والسياسية).
هذه الدولة ولدت من رحم الوسط العلماني القومي، تقوم بنيتها على حاكمية الحزب الواحد والاستبداد والتفرد واحتكار آليات العنف وايديولوجية قومية ومؤسسات العشيرة (ماقبل الدولة).

جماعات متخيلة

نتيجة للتركيبات الديمغرافية للمجتمع العراقي تبلورت مجموعة مكونات تتمركز حول هويات (اثنية، قومية، دينية) وهي صياغات لتمثيلات (الحيز السياسي) داخل هشاشة التكوينات العراقية حيث اعتمد (النسق المقدس) كحقل شائك ومعقد.
لذا فان هوية الجماعات الشيعية، نتاج للقوى الثقافية والدينية والاضطهاد التاريخي والعشائري والاقصاء عن الانظمة الفكرية الاسلامية، اضافة الى تراكم منظومة الرأسمال الرمزي والتي تبلورت عبر حقل التاريخ، فهي تمثل هوية جوهرية، متجوهر، تفتقد للتشكيلات الاندماجية بسبب الصراعات بشأن (المواقع والهيمنة في السوق الرمزي) هذه الهوية تقوم على مخزونات ضخمة من الاستيهامات الذاتية والجماعية والوعي الاغترابي والتمزق ويعود الى الظهور الدوري لشخصيات ورموز كارزمية في وعي الفاعلين الاجتماعيين السياسيين.
في حين لم تتشكل هوية الجماعات السنية الا تحت وطأة الصراعات السياسية الحديثة. لذا سادت الرؤية اللاعقلانية وتخلف سردياتها السياسية والايديولوجية والدينة لصالح خطاب ميتافيزيقي ذي بنية اقصائية يسعى الى تقويض التنوعات الثقافية العراقية.
هذا الصدام بين الهويات داخل المكون العراقي (صدام الهويات الاصولية) صياغات سياسية مخترعة لاحداث التفكك والاضمحلال في حقل التاريخ.
ويطرح حنا بطاطو فرضيته في غاية الاهمية حيث يقول: ان التوجهات القومية للدولة في حقبة ما قبل البعث استطاعت ان تتعايش مع الولاءات القديمة (الولاءات الطائفية والقومية والدينية..) انذاك وتعمل على تآكل وتفتيت تلك الولاءات.
هذه الفرضية اثبتت عقمها في تاريخية الدولة العراقية الحديثة خلال اصطدامها مع مفهوم العصرنة واعادة بناء الامة- الدولة، سواء كان ذلك في حقبة الجمهوريات او الدولة الفاشية البدوية.
وقد تحولت مجموعة الهويات العراقية الى تركيبات سرمدية متجوهره وحقل صراعات دورية وصدام بسبب انهيار المشروع الليبرالي العقلاني ونمو الاصوليات الدينية والنزاعات الطائفية ورافق هذا الفشل انبعاث الهويات الفرعية لاسيما بين الجماعات العراقية وهو يمثل هزيمة سوسيولوجية للدولة الثقافية والمجتمع.

هل ثمة أمل؟

هل ثمة امل لمشروع سياسي قائم على هوية وطنية جماعية؟ قد يبدو هذا السؤال مثيراً للازدراء في عصر الفوضى الاجتماعية والاقتصادية والسياسة للعراق الراهن.!!!
اذ صدام الهويات الطوائفية والقومية والاثنية وبحثها المستمر عن مكان لها في الحقل السياسي، يكشف ارتهان السياسية العراقية او الطبقة السياسية بحقائق التركيبة السوسيولوجية الرثة للمجتمع العراقي، حيث وقع منتجو الخطاب السياسية العراقي في (الوهم الايديولوجي) القائل بان تماثل الدولة والمؤسسات التمثيلية مع تركيبة هويات المجتمع لكون هذه التركيبة تمثل اصالة المجتمع التخيلي والمخترع سياسياً من قبل هذه الجماعات.
حيث يفتقد الخطاب السياسي العراقي الراهن الى آليات من التمركز والثبات حول نواة صلبة في الهوية السياسية اذ تسود شبكة من الهويات الفرعية والتفرد في المخيلة الايديولوجية وانبعاث الطوائف والقوميات والاثنيات ادى الى تعميق الانقسامات المذهبية والمجتمعية وكشف عن شعبيةالحركات الاسلامية الراديكالية السياسية مقابل ضعف شديد للتيارات الليبرالية والعلمانية وازمة تأسيسية لحركات التنوير تعود هذه المسألة الى التشظي الشديد للمرجعيات السياسية والفكرية للجماعات العراقية، تتراوح بين التعايش والنزاع نتيجة للعنف والقهر المنظم الذي مارسته الدولة التوتاليتارية منذ ستينيات القرن الماضي داخل المجتمع العراقي.
لذا فان هذه الجماعات الفسيفسائية تبحث عن اساطير مرجعية او خرافات سياسية وطقوس لاستعادة رأسمالها الرمزي الذي امتصته الدولة الشمولية القومانية العراقية، فقد تم بناء الدولة العراقية الحديثة ما بعد عام ٢٠٠٣ وفقاً لمفاتيح (اثني/ديني) وابعاد كامل للقوى الاجتماعية والسياسية هذه التركيبة ادت الى (اثننة السياسة العراقية) واشتغال نمط من الترابطات البنيوية الاساسية تمثل نقيض كامل لبلورة هوية وطنية جماعوية عراقية.

انظمة الهوية

اعادة تشكيل بنية الهوية في العراق يمكن ان تنطلق عبر توصيف وظيفة الدولة العراقية بشروط وضوابط واقعية وتقديم مقاربات اولية قائمة على فهم عميق للروابط المعقدة التي تحكم المعادلة الاجتماعية والثقافية او تؤدي دوراً محورياً في تعميق التشققات والتصدعات السياسية يشترط ثلاثة ممكنات.
وجود اقتصاد مندمج وشبكة من المواصلات تربط مراكز الانتاج بالاسواق وعصرنة الاساليب البيروقراطية في الحكم وتوحيد انماط الثقافة عن طريق ايجاد لغة مشتركة ادارية تروج عن التعليم العام. والشراكة بين الجماعات العراقية في ادارة الثروة/ السلطة لحذف الصيغة الطائفية للدولة العراقية وتحويل الكتل البشرية الهلامية التكوين الى شعب داخل مشروع للتحديث والاصلاح واذا تم فحص الحالة العراقية على ضوء تعريف كيلنر لمفهوم الامة/ الدولة كونها عبارة عن جملة من الاعتقادات الجماعية والولاءات والتصورات الموضوعية من قبل مجموعة من الناس.. نرى ان تبلور هوية جماعية للمجتمع العراقي مسألة عصية، ليس فقط بسبب الهوة الجغرافية والعرقية والدينية بل بسبب كون الفكرة نفسها لاتتواءم مع مجموعة الولاءات والاعتقادات والروابط الثقافية للمجموعات المختلفة التي يتكون منها النظام المجتمعي العراقي. حيث تعاني اشكالية الهويات العراقية من سياسية الفردنة والتفريخ المستمر وهي تماثل احد انماط التمامية القومية والطائفية، حيث نرى الانزلاق في الاستيهامات الذاتية عبر استنفار المخزونات التاريخية والدينية والاساطير بوصفها جزءاً من تركيبات الهوية.

التهديد بمرة ثانية تكون أعظم !

وليد الحيدري
كاتب

لم ينته اكتساح حزب الله لبيروت في الدوحة بل واصل العمل في لبنان كله . الدوحة وقفة لتوزيع وفحص الغنائم ، للدلال ومراقبة الخصوم عن قرب ، لمزيد من الانتظار وخلق عرقلات يجري تفسيرها وتبريرها وتأويلهامن اجل الاعادة . في بلد تتحكم فيه توازنات طائفية ما ان تشهر قوة سياسية طائفية السلاح بوجه خصومها حتى تصنع مروحة كبيرة من الاصطفافات السياسية والطائفية ، وتبرر اشهار السلاح واستخدامه ضدها . اولئك الذين ارادوا للاكتساح العسكري أن يكون عملية جراحية وقائية بسيطة ، نسوا ما جبل عليه وطنهم ، وما هم عليه حقا ، فأدخلوا في قلوب اللبنانيين الشك والعداوة وتوقع الاهوال والاستعداد لها بالتسلح وتنظيم الميليشيات . إن معارك البقاع وطرابلس الاخيرة هي صدى وترجيعات لذلك الاكتساح المشؤوم ، حتى سياسيو الجبلين الدرزي والماروني بدأوا يشعرون بأن ثمة من يراقبهم ويتحرش بمواطنيهم . امين الجميل اشار الى جماعة مسلحة بين قضاءي المتن وكسروان تعرضت لشبان عزل كانوا في نزهة في جرود المنطقة ؟احتجزوهم بعد إطلاق النار في اتجاههم؟. لم ينس الجميل ان يلكز : "المنطقة لم تشهد وجوداً أو احتلالاً إسرائيلياً".
إن اولئك الذين راحوا يطالبون بغنائمهم في التشكيل الوزاري الجديد ، عادوا الى عاداتهم القديمة في وضع العصي بعجلة الدولة ، لقد اعادهم تشكيل الوزارة الى المعركة التي خاضوها باشهار السلاح في عاصمتهم . حتى مطالبهم في وزارات سيادية او غيرها ارتدت لباسا من المخاوف والقلق ، فمن يخيف الاخرين يخاف ويخيف نفسه الى حد انه ينشر رائحة الخوف اينما حل وفي اي سلوك اتبع. الجنرال عون ابدى مخاوفه لمرتين وتحدث عن ان بعض القوى تتسلح في الشمال وطرابلس، فتحقق ما قاله . ومن دون ان نبخس قدراته الشخصية ، ولاسيما انه البطريارك السياسي لطائفته حسب تعبيره ، فقد أخذ على عاتقه ما يأمله حزب الله في السر ، وهو تخويف الموارنة من السنة . إن عون قارئ جيد للمراسيل الطائفية كما هو متفهم لما يريده الايرانيون من لبنان . وهو حاقد جدا ليصلح للسلام ، بالاحرى إنه يصلح ، حتى من دون تحسينات تخفف من طموحاته الشخصية جدا ، مظلة مسيحية لحزب الله على لبنان كله.
إن حزب الله يواصل معركة بيروت ويطورها باتجاهات عديدة . فها هو السيد نواف الموسوي ، مسؤول العلاقات الوطنية في حزب الله يمارس فصاحة تذكرنا بفصاحة البعثيين عندما يريدون تخويف خصومهم . يقول : " لقد أعتدي علينا حينها ورددنا بأعلى مناقبية يمكن ان تعرف في تاريخ لبنان " . المتوقع من مسؤول العلاقات الوطنية أن يكون اكثر مرونة ، بيد ان ادوار الجماعة القيادية لهذا الحزب تساوت في الاهمية بسبب حالة العرض والطلب الفعالة القائمة . لنتأمل الاستبدال البلاغي لاستخدام السلاح القاتل بالمناقبية . تلك سياسة كاملة بتحويل الاشياء الى مواد معنوية طائرة ، وتحويل المقاتلين الملثمين الى ملائكة. الواقع أن نواف الموسوي يجري هنا تحليلا داخليا يستبدل فيه ايران التي تمول حزب الله بالسلاح والمال بالسعودية التي تمول الجهة الاخرى فيهاجمها من دون ان يسميها . يقول : " ان المشكلة هي معركة سياسية تخوضها هذه الدولة الخليجية التي يجب ان تعرف انها لا تستطيع ان تحول لبنان امارة ملحقة بالامارات التي تسيطر عليها .." كيف نصدق ان السعودية تريد الحاق لبنان كامارة ؟ كيف يحدث هذا ؟ هل سعى الحريري الاب الى الحاق لبنان بالسعودية فاستحق القتل؟ بيد ان وظيفة هذا التصريح هي رد تهمة بتهمة ، وليس مهما أن تكون حقيقية ، فالتهمة الاولى اختفت في بلاغيات حزب الله التي تلعب باللغة السياسية بطريقة نفسية اسقاطية . ما الذي يقوله الموسوي حقا ؟ يقول : لسنا عملاء ايران . انتم عملاء السعودية. والان تحتاج جملة الموسوي الى شحنة من الغضب من تلك التي يجيد المقاتلون خلقها في انفسهم من اجل تخويف الآخرين وطمأنة جماعتهم . ها هو الموسوي يرد على السعودية وعلى أعوانها (من دون ان يسميها ويسميهم): " .. وليضع هؤلاء في حسبانهم ان اي ظاهرة متطرفة اذا بدأت طور العمل الذي يهددوننا به ، فإن لكل فعل ردة فعل ونعدكم بأنها ستكون اعظم من الفعل بحيث انكم اذا وجدتم مرة طريقة للتسلل هربا من العاصمة ، فلن تجدوا في المرة المقبلة طريقا ، فيما لو اعتمدتم تشجيع هذه الظاهرة المتطرفة ."
هذه اللغة من رجل العلاقات الوطنية تخلط متعمدة ما بين جماعة المستقبل والاصوليين السنة . في السياسة من المستحسن ضرب ثلاثة عصافير مرة واحدة . إن من تسلل من بيروت ليس المتطرفين السنة ، بل لعل المتطرفين الذي عناهم الموسوي هم الوحيدون الذين قاوموا هجمة حزب الله دفاعا عن بيوتهم . سعد الحريري ووليد جنبلاط كانا في بيروت ولم يتسللا ، وقد صرحا انهما لن يتركا العاصمة وهما بالتأكيد مدينان بحياتهما الى وجود قرار بعدم تصفيتهما في هذه المرحلة. (تسلل = جبن !) السؤال : الا يعد هذا الخطاب تهديدا صريحا بالقتل لهاتين الشخصيتين وغيرها من الشخصيات التي بقيت في بيروت ؟ هل توجد مرة اخرى ؟
" نعدكم انها ستكون اعظم ": هناك مرة اخرى إذن . والحقيقة إن رائحة الدم تملأ خياشيم هذا الرجل الى حد انه سيقدم برنامجا كاملا لما هو آت . يقول : " لن يكون هناك على رأس أي جهاز امني في لبنان او اي موقع عسكري من لا تطمئن المقاومة الى صدق ولائه للوطن وهذا وعد ."
هذا الكلام يصوغ برنامجا كاملا يريد حزب الله فرضه على لبنان كله . لقد تعدى الامر مواجهة العدو الصهيوني الى فرض خيارات سياسية على جميع اللبنانيين .

الاحتكارات الدولية و بعض قضايا المعاهدات

٢-١

د. مهند البراك
كاتب

فيما أدّت البرجوازية في نشوئها دوراً رائداً في اكتشاف العالم وتأسيس وسائل صلاته ومصالح اجزائه، و عملت بالتالي وساعدت على انشاء انظمة حكم احدث مما مضى و على رسم الحدود وفرض رسوم و ضرائب وتحديد انواعها و حجومها و مناطقها، واسست منظومات قانونية تناسبت مع ظروف تلك المراحل . .
نشطت وتنشط كبرياتها و وريثتها : الإحتكارات الرأسمالية (الصناعية، العسكرية، النفطية والمالية . .) في سعيها لتحقيق اعلى الأرباح . . في تقسيم مناطق نفوذها في العالم فيما بينها وبالتالي في تحديدها و فرضها المتعدد الصيغ، الأنظمة والكيانات السياسية . الأقتصادية . المالية بطرق واشكال اتخذت سيماء ومصطلحات قانونية جديدة ومسميات كثيرة التنوع . . تحت رايات تناغمت وتتناغم مع تطلعات واماني الأوساط المؤثرة في المرحلة المعينة في البلدان الجديدة ، ثم في المراحل المتنوعة المتتالية . .
وعلى اساس نتائج اعمال و توصيات مراكز ابحاث اجتماعية فكرية، سايكولوجية ثقافية وبشرية، ابتدأت بدراسة مجتمعاتنا بالتعايش معها، منذ زمان البعثات التبشيرية والطبية والخدمية والآثارية والأستشراقية المتنوعة الأولى ، التي اسست بدايات للعلاقات و للأعمال التجارية و ابرام عقودها التي احتاجت فيها الى تأمين سلامة وصول بضائعها الى هناك وتأمين سلامة استيراد المواد الخام الأكسير الضروري لديمومة صناعتها، و الوقود الذي لابد لها ان توفره لديمومة تشغيل عجلات مصانعها . المواد الخام . . التي صارت احدى دعائم الأمن القومي لبلدانها على حد بياناتها الرسمية، وخاصة بعد ان اخذت الأحتكارات تزداد تمركزاً وتداخلاً فيما بينها وبعد ان استطاعت تخطي الحدود السياسية للدول وتشكيل الإتحادات والكتل الرأسمالية متعددة الجنسية (فوق الجنسية) بوسائل لاحدود لها تراوحت وتتراوح بين تشجيعها استخدام العنف اللامحدود و التلويح به، والخداع و الأستغفال. . وبين الأتفاق والتوافق وتحقيق منافع متبادلة، على اساس حساب مدى ربحية المشاريع والخطط لها . . لقد أدى : تنوع وماهية الثروات الطبيعية وقيمتها الأقتصادية والسوقية ومواقعها في المرحلة المعينة، تنوع و تفاوت الواقع : البشري، الإقتصادي، والحضاري العلمي والمعرفي لـ " الأسواق الجديدة " التي ضمنت و تضمن تصريف بضائعها وصيانتها من الركود والتلف و بالتالي الخسارة.. أدت ادواراً كبيرة في تحديد ماهية الوسائل والطرق التي اتبعتها الإحتكارات للوصول الى تحقيقها اهدافها، وخاصة مع الدول الفقيرة والأقل تطوراً او النامية . . وفي سعيها لتوفير حراس لبضائعها وارصفتها، وعمال خدمات وعتالين وبنّائين وادلاّء . . دخلت على صراعات المنطقة العشائرية الدينية الطائفية، ووقفت الى جانب من استطاعت ضمانة لنجاح اعمالها فادامت القوي بالمال والسلاح وقوت الضعيف منهم وعلمت ابناءهم و ادخلتهم مدارسها وشغّلتهم وضمنت لهم اعمالاً فنية وخدمية وعسكرية ضمن اطار مشاريعها التي ضمنتها بعدئذ في عقود شكلت رؤوس الجسور الأولى لها في الخليج، عقدتها مع سلطة الباب العالي للسلطان العثماني " المريض"، والتي وفرت له ولإدارته مبالغ لم يحلم بها، من اراض ومقاطعات كان قد اهملها السلطان لـ (كثرة مشغولياته) لصد رياح التحضر التي كانت تهب على دولته من اوروبا . وتطورت تلك العقود بتزايد الأرباح وتزايد مواقع الأستثمار، ووصلت الى تأجير مقاطعات و عقد معاهدات ذات طابع محلي " موقعي " من جهة، وطابع عسكري من جهة اخرى بعد ان عملت على تعيين موظف او مندوب سامي يمثّل ملكها، مخوّل بتحريك القطعات العسكرية وعقد الأتفاقات والأحلاف السياسية بالانسجام مع حاجات واهداف الشركات الصناعية التجارية و النفطية وخاصة بعد اكتشاف النفط بغزارة هناك، في ظروف الصراعات المحلية التي كانت تشهدها المنطقة . ليتواصل نشاطها و لتتمكن من تشكيل ادارات سياسية عسكرية مختلطة، كانت احدث مما مضى . . من رجالها وممن اخذت مصالحه ومصيره يرتبطان بها من ابناء وفئات المنطقة التي كانت تعاني الفقر والإهمال والصراع على النفوذ والسلطة والمال . . حتى وصلت بعد عقود الى ممارسة انواع الضغوط على انظمة الحكم الموجودة في المنطقة التي عملت هي على التأسيس لها، للوصول الى نتائج تناسب مشاريعها التي تزايدت وتنوعت، و تناسب بالتالي قضية اعلان الحرب والسلام في المنطقة، من خلف ستار او علناً، وفقاً للموقف المعيّن، ووفق ظروف اجزاء المنطقة بعد ان كانت تأن من حكم آل عثمان وتسعى لأخذ قضيتها بيدها . من جهة اخرى، وبتوالي مراحل التطور المتعدد الجبهات في العالم، ازدادت الإحتكارات قوة ونفوذاً واخذت مصالحها تحدد طبيعة وشكل واداء ووجهات انظمة الحكم في بلدانها الصناعية هي، و اخذت تصوغ مشاريعها بمشاريع سياسية حددت وتحدد مسيرة انظمة حكم بلدانها في اتباع سياسات التوافق والأتفاق والأختلاف مع احتكارات البلدان الرأسمالية المماثلة الأخرى . . واخذت تواصل سيرها وباشكال اكثر حدة مع البلدان النامية والقليلة التطور والضعيفة عسكرياً والمغلوبة، ساعية الى تعويض مافاتها جراء مرحلة الحرب الباردة، بعد ان انهار القطب الموازن، و من اجل ضمان هيمنتها و نفوذها كقطب اعظم اوحد، وخاصة بعد انبعاث الصراعات والحروب الأقليمية اثر انهيار ذلك القطب . (يتبع)

آراء وأفكار
Opinions & Ideas
ترحب آراء وافكار بمقالات الكتاب وفق الضوابط الآتية:
١ـ لا يزيد عدد كلمات المقالة على ٧٠٠ كلمة.
٢ـ يذكر اسم الكاتب كاملا ورقم هاتفه وبلد الاقامة ومرفق صورة شخصية له.
٣ـ ترسل المقالات على البريد الالكتروني الخاص بالصفحة:
Opinions112@yahoo.com